(١)

عوامل القوة في بناء الدول

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن من مبادئ الإسلام الأصيلة ، وتعاليمه الجليلة حبَّ الوطن، والدفاعَ عنه ، والعملَ على حمايته ، والشرَفُ كل الشرفِ في شعور الإنسان بانتمائه الحقيقي لوطنه ، والسعي الجاد لبنائه ، والعمل على رقيِّه ورفعته ، فكل الأمم التي تقدمت علميًّا وحضاريًّا يقف وراءها رجال مخلصون امتلأت قلوبهم بحب أوطانهم ، فشمروا عن ساعد الجد بالعمل المثمر العائد بالنفع على العباد والبلاد ، ومصرنا الغالية تستحق من أبنائها ذلك وأكثر ، فهي القلب النابض للعروبة والإسلام ، وهي درع الأمة وسيفها ، وحصنها الحصين في مواجهة الإرهاب والتحديات ، ومن ثمَّ فإن الدفاعَ عنها ، والعملَ في سبيل نهضتها ورقيها ، إنما هو واجب ديني ووطني ، فهي مهد الحضارات ، وموطن الرسالات ، اقترن ذكرها في القرآن الكريم بالأمن والأمان ، ومن ذلك قوله تعالى: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، وسميت خزائنها خزائن الأرض ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان يوسف (عليه السلام) :{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}، وعلى أرض سيناء المباركة كلَّم الله موسى تكليمًا ، وتجلى فيها تجليًا مهيبًا ، فمصر أرض مباركة وُلد وتربَّى ونزل وتزوج منها الأنبياء عليهم السلام ، فقد وُلد فيها موسى وهارون ويوشع بن نون ، وعاش فيها إدريس ويعقوب ويوسف والأسباط ، ونزل بها إبراهيم وإسماعيل ، وتزوج منها أبو الأنبياء إبراهيم ، فأنجبت له زوْجُهُ هاجر المصرية نبيَّ الله إسماعيل جدّ نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ويكفي أهل مصر شرفًا وفخرًا أنهم أصهار النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأخوال ولده إبراهيم من

السيدة مارية القبطية ، وجاءت إليها السيدة العذراء مريم مع نبي الله عيسى وهي في طريق عودتها إلى بيت المقدس ، وقد أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة كلّها بمصر وأهلها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ ، فَاسْتَوْصُوا بأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) ، وعن أم سلمة أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: (اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ) ، ولله در صلاح الدينِ الصفدي حين قال:

من شاهد الأرض وأقطارها *** والناس أنواعًا وأجناسا

ولا رأى مصر ولا أهلها *** فما رأى الدنيا ولا الناسا

وقد وجه الإسلام إلى أن الأوطان لا تُبنى بالكلام ولا بالشعارات ، بل حدد عدة عوامل من خلالها تُبنى الدول من أهمها :

* **العلم والثقافة والوعي** ، فقد أشاد الإسلام بفضل العلم وحث على تحصيله وطلبه ، وأعلى من شأنه ومكانته ، قال تعالى:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، وللعلم أثره الظاهر في قوة الدول وبنائها ، فهو حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار ، وبه تُوصل الأرحام ، وبالعلم تُشيد الحضارات ، وتؤسس الدول ، وتَسُود الشعوب ، وما فشا الجهل في دولة إلا هدم أركانها ، وصدَّع بنيانها ، وأوقعها في التهلكة.

وحسبنا أنَّ أول آيات نزلت من الوحي أشارت إلى فضل العلم ، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم، ونوّهت بالقلم وهو أداة نقل العلم، وذلك في قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، والقرآن الكريم حين يبدأ رسالته العالمية للناس كافةً بلفت أنظارهم إلى ضرورة العلم من خلال كلمة (اقْرَأْ) إنما يفعل ذلك ؛ لينبه الناس إلى أنّ قوة العقيدة

في الإسلام إنّما تتأسّس في المقام الأوّل على العِلْمِ وإعمال العقل ، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، مقدمًا العلم على القول والعمل.

* **العمل الجادّ الدءوب** : فقد نظر الإسلام إلى العمل الجاد نظرة توقير وتمجيد ، فرفع قدره وقيمته وجعله سبيلاً للرقي والتقدم ، وعبادةً يثاب عليها فاعلها ، وقد حث القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش والعمل ، فجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة ، يقول تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..}، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السّلَام) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ).

ولم يكتف الإسلام بمجرد دعوة أصحابه إلى العمل كسبيل للبناء فحسب، بل دعاهم أيضًا لإتقان العمل وإحسانه ، رجاء محبة الله تعالى ورحمته ، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)، والذي لا يتقن عمله ولا يراقب الله تعالى فيه فإنه آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات.

* **استثمار الطاقات المعطلة**: فلقد وهب الله (عز وجل) كل إنسان مجموعة من المواهب والإمكانات كي يحقق بها مراد الله (عز وجل) في عبادته وعمارة الكون ، وبقدر إخلاص الفرد واستثماره لهذه الإمكانات لصالح وطنه بقدر ما تكون الثمرة المرجوة خيرًا ورفاهية وسعادة للفرد وللمجتمع من حوله ، وهذا يعتبر مقياسًا جيدًا يستطيع المسلم أن يقيس به مدى صدقه وإخلاصه وتفانيه لنصرة هذا الدين ورفعة وطنه.

وفي القرآن الكريم صور مضيئة ونماذج طيبة لمجموعة من البشر أنعم الله (عز وجل) عليهم ببعض النعم ، فاستثمروها لخدمة أممهم ، وبناء حضاراتهم ولم يعطلوها ، فهذا ذو

القرنين الذي طوى الله له الأرض شرقًا وغربًا ، لما مرَّ على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس ، اشتكوا إليه من ظلم يأجوج ومأجوج ، وإغارتهم عليهم وإفسادهم لأموالهم وزروعهم وأنفسهم، قالوا كما قص القرآن الكريم :{يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}، فاكفنا شرهم ولك الأجر والعطاء ، فسلك بهم طريقًا يستثمر من خلاله طاقاتهم المهدرة ومواهبهم المعطلة ، وجعلهم يتعلمون كيف يعتمدون على أنفسهم لا على غيرهم في قضاء مصالحهم فتحولوا بذلك أعوانًا له لا عالة عليه، حيث قال : {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا }.

فهذا يُعد من أروع الأمثلة لاستثمار الطاقات المعطلة ، وما أحوجنا اليوم إلى حسن إدارة استثمار مواردنا وطاقاتنا الموجودة بالفعل فيما ينفعنا ويصلحنا ، ويحقق التنمية والتقدم والرخاء.

ومن الطاقات التي يجب حسن استثمارها والإفادة منها وعدم تعطيلها طاقة الشباب، فالشباب هم العمود الفقري لأي أمة من الأمم ، فهم عماد حضارتها ، وسر نهضتها، وأمل مستقبلها ، وهم الثروة الحقيقية ، ومنبع القوة والعزة لأي مجتمع من المجتمعات .

ولقد استثمر النبي (صلى الله عليه وسلم) طاقات الشباب لبناء الدولة ، فاستثمر طاقة زيد بن ثابت العلمية حين أمره أن يتعلم لغة اليهود ليتعرف على ثقافاتهم ويعلم كيف يفكرون ، واستثمر طاقة أسامة بن زيد حين أمَّره على جيش فيه أبو بكر وعمر وأكابر الصحابة ليستفيد من حماسة الشباب .

وإن الدولة في هذه المرحلة المهمة لتولي جُلَّ اهتمامها بالشباب في كل قطاعات العمل، من خلال عقد اللقاءات الحوارية المباشرة بين الدولة ومؤسساتها المختلفة والشباب لبحث مختلف القضايا والتحديات التي تواجه الوطن ، وطرح رؤى الشباب في مواجهتها.

فينبغي على الشباب أن يتسلح بالعلم والمعرفة ، وأن يطلب العون والمدد من الله تعالى ولا يتعجل النتائج ، وعليهم أيضًا أن يتمسكوا بالفكر المعتدل النابع من الفهم الصحيح للإسلام، وأن تكون لهم شخصيتهم المتميزة ، حتى يكونوا مؤهلين لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وقيادة الأمة إلى طريق الرشاد والأمن والسعادة والاستقرار والتقدم.

ومن عوامل القوة في بناء الدولة: **وحدة الصف**، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...}فوحدة الصف والتكامل بين جميع أبناء الوطن، مطلب ضروري وديني لا غنى عنه لدولة تريد الفلاح والقوة ، ووحدة الصف تضمن الحفاظ على قوة الدولة ووحدتها ، ونجاح رسالتها ، وقدرتها على مواجهة التحديات المجتمعية والوطنية، وذلك بأن تكون صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص، ونؤكد أنه لا قوة لأمة أو دولة تفرق أبناؤها ، وتباغضوا فيما بينهم ، وأصبح كل منهم معجبًا برأيه وفكره.

ومن عوامل القوة في بناء الدولة: **التوازن بين النمو السكاني وإمكانيات التنمية** ؛ لأن الانفجار السكاني يهدد وبقوة مسيرة التنمية في أي أمة ، مع تأكيدنا أن الكثرة إما أن تكون كثرة قوية منتجة متقدمة يمكن أن نباهي بها الأمم في الدنيا ، وأن يباهي نبينا (صلى الله عليه وسلم) بها الأمم يوم القيامة ، وإما أن تكون كثرة كغثاء السيل ، عالة جاهلة متخلفة في ذيل الأمم ، هذا كله إضافة إلى حقوق الطفل التي يجب أن يتمتع بها تنشئة وتربية وتعليما ، وقد أجاز النبي (صلى الله عليه وسلم) العزل ، وهو أحد وسائل تنظيم الأسرة ، وعليه يقاس ما هو أيسر منه من الوسائل العصرية المستحدثة الصحية الآمنة ، على أن حكم تنظيم النسل والعملية الإنجابية قد لا يقف عند حدود الحِلِّ فحسب ، إنما قد يتجاوز هذا الحِلِّ إلى حالة الضرورة التي لا بد ولا مفر منها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

من عوامل القوة في بناء الدول: **الحفاظ على القيم النبيلة والأخلاق الراقية**، فللأخلاق منزلة عظيمة في الدين ، عني الإسلام بها لما لها من صلة وثيقة وقوية بالعقيدة فكمال الأمة بكمال أخلاقها ، وصلاحها بصلاح آدابها وأخلاقها ، وبناء الدول والأمم وقيامها بتحقيق القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة بين شعوبها ، وصدق الشاعر حيث قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة ، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم وتسقط ، فكم من حضارات انهارت لا بسبب اقتصادها ، أو قوتها العسكرية – فحسب –، وإنما بتردي أخلاقها.

وجدير بالذكر أن مكارم الأخلاق ليست قاصرة على الفرد فقط ، فهناك الأخلاق الفردية التي يلتزم بها الفرد من الأوامر والنواهي ...إلخ ، والأخلاق الأسرية بين الزوجين، وبين الأبناء والآباء ، والأقارب والأرحام ...إلخ ، والأخلاق الاجتماعية داخل المجتمع في البيع والشراء والجوار والزمالة والعمل ...إلخ ، والأخلاق الدولية بين الدول وبعضها ، وأخلاق الحرب والسلم.

ومن عوامل القوة في بناء الدول: **الوعي بعوامل الهدم ومخططات الإفشال والوقوف في وجهها بالمرصاد** ، فشتان بين النقيضين البناء وعوامله ، والهدم ومعاوله ، وإذا كان ديننا دين البناء وعمارة الكون ، فإن كل من يأخذك إلى هذا الطريق إنما يأخذك إلى طريق الإسلام ، إلى طريق الوطنية ، إلى طريق الحضارة والرقي ، إلى خير المجتمع وخير الإنسانية ، ومن يحاول أن يجُرَّك إلى طريق آخر عكس هذا الاتجاه ، كأن يجُرك أو يسلمك

إلى طريق الهدم والتخريب وتدمير المنشآت والبنى التحتية ، أو الاعتداء عليها ، أو المساس بها ، إنما يأخذك إلى طريق الهلاك في الدنيا والآخرة ، يقول الحق سبحانه: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، ويقول سبحانه : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

ودعاة الهدم هم أصحاب نفوس مريضة قصرت بهم همهم عن أن يجاروا أهل الجد والكفاح والتعب والعرق والعمل والإنتاج ، فلم يجدوا جبرًا لنقيصتهم وسترًا لعورتهم ولفشلهم سوى حسد الأماجد وانتقاص الأفاضل.

هؤلاء الهدامون خطر داهم على المجتمع ، وعلى أمنه الاجتماعي والاقتصادي ، يقول الشاعر:

لو كلُّ بانٍ خلفُه هادمٌ كفى *** فكيف ببانٍ خلفُه ألفُ هادمٍ

فديننا ينبذ كل ألوان ومعاني الهدم والتخريب ، ويدعو إلى البناء وعمارة الكون ، وكل ما فيه صلاح الإنسانية ، يقول سبحانه : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول سبحانه : {فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }، مما يتطلب منا جميعًا العمل على نشر ثقافة البناء ، والتصدي بحزم وحسم لكل دعاة الهدم والإفساد في الأرض.

فاللهم أمِّنا في أوطاننا ، واحفظ بلادنا من كيد الكائدين وفساد المفسدين.